



قاعة الاقتصاد: التاريخ الخفي للإخوة السود الأحرار فاطمة شيخ

نايف البسامي *

من المستحيل تخيل نيو أورليانز، وبالتالي التاريخ الأمريكي، بدون ثقافة الكريول النابضة بالحياة والفريدة من نوعها. في مواجهة مجتمع أبيض قمعي، بنى أعضاء جمعية الاقتصاد والمساعدة المتبادلة مجتمعاً وربطوه معاً خلال عصر العبودية، والحرب الأهلية، وإعادة الإعمار، وإرهاب جيم كرو. «قاعة الاقتصاد: التاريخ الخفي للإخوة السود الأحرار»، يتتبع لودجر بوجيل وعائلته وأصدقائه من خلال أحداث تاريخية من ثورة هايتي إلى ولادة موسيقى الجاز التي شكلت نيو أورليانز والولايات المتحدة.

سنة ١٨٦٥ ميلادي تعتبر نقطة تحول في التاريخ الأمريكي عند قدوم الحرية، وفي نفس السنة كانت هنالك تغييرات جارية بالفعل. يضم تعريف الكريول في الأصل مزيجاً من التراث الأسباني أو الفرنسي أو الأفريقي أو الأمريكي الأصل. تعريف الكريول هنا يقصد بها الأمريكيتين. لكن في أصل اللغة الإنجليزية كلمة الكريول مشتقة من اللغة الفرنسية، والتي بدورها مشتقة من اللغة البرتغالية، وتعني في الأصل «الشخص الذي ينشأ في منزل واحد». وتم تبني مصطلح الكريول لتعريف أولئك الذين يمتلكون عروقاً وأصولاً مختلفة أو مختلطة، حدث ذلك عندما استولت أمريكا على لويزيانا عام ١٨٠٣، حيث كان ذلك قبل ه سنوات من عام ١٨٠٨، عندما تم حظر نقل سفن الرقيق مما أدى إلى مرور الكثير من الكريول، إما للهروب من المعاملة القاسية، أو انضمامهم إلى السكان الأمريكيين الأفارقة المحررين حديثاً. على عكس معظم أرجاء البلاد بحيث كان نصف سكان مدينة نيو أورليانز أحراراً، بدأت الكريول متعددو الأجناس، في التوافق مع الأشخاص الذين تم منحهم حق التصويت حديثاً. كانوا يسبغون من أجل نفس الحقوق، والمشاركة الاجتماعية في التصويت، كل هؤلاء الناس حرموا من حق التصويت بعد إعادة الإعمار. عقد أول اجتماع لقاعة الاقتصاد فيما يعرف الآن بدوقين، وسوف ينتقل إلى تريم أوف فيما يعرف الآن بشارع أورسولين.

يبين الكتاب الدور الكبير التي تلعبه قاعة الاقتصاد في التفوق على العبودية، من خلال أعضائها وتفصيلهم المرتبط بهم وأيضاً الدور الرئيسي في إنشاء موسيقى الجاز. في العام التاريخي للسود في الولايات المتحدة ١٨٦٥ بالتحديد في ١١ من يونيو أقيم حفلة كبير في نيو أورليانز في ميدان الكونغو، وكان لودجر وبوغيل هو المنظم للحفل، وكان هناك مقطع من كتب لودجر قد اقتبس على النحو التالي: «عند قدوم اليوم المنشود، قدم الآلاف من الناس إلى ساحة الكونغو، على الرغم من حرارة الجو، ارتدوا أفضل ملابسهم، نساء وفتيات يحملن المظلات، ورجال

شيخ متعة البحث الذي كان مرتبطاً بتراثها الخاص وتضيف قائلة: «وجدت نفسي أفهم لودجر كثيراً من خلال قراءة الصفائح التي صُنعت في كتاباته، وعندما يكون متحمساً تصبح كتاباته أكبر بكثير. وضع علامات التعجب والتأكيد مرة واحدة، وعندما يصل إلى سعادته يرسم النجوم والقلوب، كان من الممتع مشاهدة عواطفه». يمكن القول بأن بداية هذا الكتاب الفعلية كانت في عام ١٨٥٧، في حفلة مع أشخاص من مختلف الأجناس والسود الأحرار ببداية قاعة الاقتصاد، ولا يدركون أنها سوف تكون نهاية العبودية، وبعدها بداية قوانين كيم كرو في نهاية المطاف، التي ساعدت على تعطيل وتأخير الحريات الاستثنائية للكريول الملونة.

تقول فاطمة من خلال كتابها هذا «هذا الحزب يقترب من قرار سكوت دريد. بحيث ينص قرار سكوت دريد بأن الأشخاص المنحدرين من أصول أفريقية لن يكونوا أبداً مواطنين في الولايات المتحدة الأمريكية. القرار التاريخي لسكوت دريد يتضمن الحكم الدستوري الذي ينص بأن هدف الجنسية الأمريكية لم يكن يشمل السود الأحرار أو المستعبدين. وطبقاً لقانون الدستور الأمريكي للحقوق فإنها لن تحمي أي عرق أفريقي، كل الناس الموجودين في حفلة قاعة الاقتصاد لم يتم استبعادهم ولا حتى عائلاتهم. كان يسخرون من قرار دريد سكوت، وكان في اعتقادهم أنه قرار سخيف». يمكن وصف أعضاء قاعة الاقتصاد بأنهم مثل الناس الأحرار الملونين، حيث ظلت قاعة الاقتصاد حصينة ومتينة طوال فترة العرق في أمريكا، واستمرت القاعة حتى حوالي عام ١٩٧٠.

كانت نيو أورليانز تعد منطقة متناقضة بشكل صارخ ومخيف. لفترة من الزمن، وجود أشخاص أحرار من السود فيها يُبرره القانون الأسباني «التضييق» الذي يسمح بالانعتاق الذاتي. وبالرغم من ذلك على بعد ست ساعات فقط في ولاية تكساس وبالتحديد في جالفتون، كان على المستعبدين الانتظار لعامين حتى إعلان تحريرهم، وذلك عند قدوم جنود اتحاد المنطقة.

تبدأ القصة مع والد المؤلف لإنقاذ ما يقرب من قرن من المجلات المكتوبة بخط اليد، باللغة الفرنسية، من ساحات نقل القمامة. ظهرت من صفحات المجلات واحدة من أهم المجتمعات الفكرية متعددة الأعراق في جنوب الولايات المتحدة تكونت من المعلمين والتجار المتجولين حول العالم، والجنود، والتجار والشعراء. على الرغم من أن قانون لويزيانا صنّفهم على أنهم رجال ملونون، وزنوج، وسود، رفض الإخوة الاقتصاديون العنصرية، والتلون للنضال من أجل حق الاقتراع والتعليم للجميع.

قامت الكاتبة فاطمة شيخ، التي تنحدر من مجتمع الاقتصاديين، ببناء قصة واقعية مفصلة بدقة تُقرأ مثل رواية ملحمية. عندما يُكتب التاريخ يجب أن يكون على مستويات متعددة؛ بحيث يبين لنا الاكتساح الواسع للرجال والنساء العظماء، والاشتباكات والحروب الرئيسية، والأفكار والاتجاهات الضرورية لرؤية الشكل والوجه للعالم الذي نعيش فيه. ومع ذلك، فإن هذا الاكتساح الكبير هو نفسه مكون من اللحظات اليومية، التي لا تعد ولا تحصى في حياة الناس العاديين، والمشاكل والصراعات التي تشكل حياة الأفراد.

يقع استناد الكتاب إلى «قاعة الاقتصاد»، وهي عبارة عن جمعية مُساعدة متبادلة من الرجال السود الأحرار بحيث تعد من أعرق الجمعيات، فقد تأسست في القرن التاسع عشر الميلادي. يمكن القول بأن العبودية كانت الواقع الأسمى في تلك الفترة، ولكن مجتمع من الناس الأحرار عقد عدة اجتماعات لمناقشة حق الأفارقة في التصويت الأمريكي، بالإضافة إلى الحاجة الماسة لدعم الحزب الجمهوري التقدمي.

يسلط الكتاب الضوء على العديد من الأعضاء، ويمكن القول بأن الصوت الأعلى كان للودجر وبوغيل، الذي كان سكرتيراً لقاعة الاقتصاد. امتد عمله من فترة ما قبل الحرب خلال الحرب الأهلية، وإعادة الإعمار وفجر عصر جيم كرو (قوانين جيم كرو).

عبر المرور على أطراف هذا الكتاب تصف المؤلفة فاطمة



وظائفها الاجتماعية. أدى عدم الاعتراف بقوانين جيم كرو التي تميز بين الكريول والسود، إلى تحول القاعة إلى مكان يلتقي فيه سكان نيوارلينز، ويختلطون بحيث أنهت القاعة تركيزها على القشرة العليا لمجتمع الكريول. أصبحت القاعة ملتقى الحفلات المدرسية بالإضافة إلى الرقصات والحفلات الموسيقية في فترة كانت الموسيقى تتخمر في مدينة نيوارلينز. أنشأت موسيقى الرغتايم - موسيقى الزنجية الأمريكية - جمالية الارتجال الفردي والجماعي، وخلال ٣٠ عاماً من تخمر هندي الموسيقى، ولدت موسيقى الجاز المشهورة التي نسمعها في وقتنا الحالي. يمكننا القول بأنه تاريخ قاعة الاقتصاد مرتبط بفرقة النسر النحاسية المشهورة في تلك الحقبة، وهي مجموعة مركزية في التاريخ المبكر لموسيقى الجاز، والتي كانت تعزف بشكل منتظم بقاعة الاقتصاد، والتي من خلالها عزفت أفضل الموسيقى المحلية.

تتم أهمية قاعة الاقتصاد في أنها تحيي ذكرى النشاط المجتمعي، الذي كان نشاطاً مهماً في فترة من الزمن، الذي عمل على توجيه مسار بعض الأحداث الأكثر أهمية في مدينة نيوارلينز. على نطاق واسع، عاش كل رجال قاعة الاقتصاد أحوال التاريخ الأمريكي بين الكفاح من أجل الرخاء والتوتر المجتمعي والفردي، وبين التنوع والتجانس وكلها تحت إطار العنصرية بكل ما تعني الكلمة من معنى. النضال من أجل الكرامة والحقوق السياسية والأساسية. إذا كان قوس الكون طويلاً، فإنه ينحني نحو مؤسسات مثل قاعة الاقتصاد.

وفي خلاصة الأمر ومن وجهة نظري، يمكن القول بأن الكاتبة فاطمة شيخ عملت على وضع تطور القاعة الاقتصادية بشكل أوضح لسرد أهم الحقب الاقتصادية في تاريخ أمريكا، وتناولت بكل موضوعية واحترافية الحديث عن أعضاء قاعة الاقتصاد. الكتاب جيد يحمل الكثير من الثقافة المجتمعية، التي تساعد على الفهم الأعمق لآلية تمحور العبودية من تلك الحقبة حتى بداية القرن العشرين.

عنوان الكتاب: قاعة الاقتصاد: التاريخ الخفي

للإخوة السود الأحرار

المؤلف: فاطمة شيخ

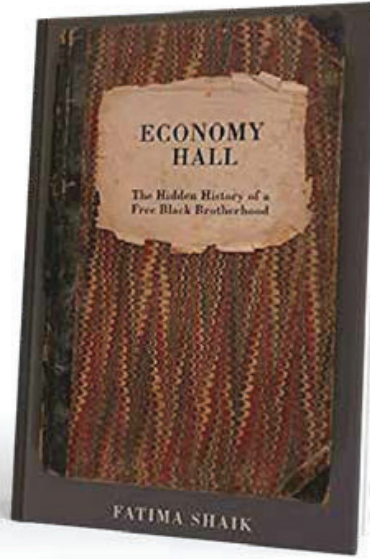
اللغة: اللغة الإنجليزية

عدد الصفحات: 544 صفحة

تاريخ النشر: فبراير، 2021

دار النشر: مجموعات نيو أورلينز التاريخية

* كاتب عماني



للاقتصاديين خيار سوى الانضمام رغم عدم شعورهم بالدور الكبير في القتال.

خلال تلك الفترة لم يدم دورهم كجنود كونفدرالين فترة طويلة جداً، وذلك بسبب سقوط نيوارلينز تحت سيطرة الاتحاد في وقت مبكر من الحرب، حيث تم تحويل قيادة الحرس تحت قيادة الجنرال بنيامين بتل، وهو ما أدى إلى تحويل بوجيل، وما لا يقل عن ١٠ من زملائه الاقتصاديين إلى بعض أوائل الضباط السود في الولايات المتحدة. بمجرد انتهاء الحرب أصبحت قاعة الاقتصاد منظمة حقوق مدنية بصورة أكثر اتضاحاً. يظهر ذلك في التزامها بتعليم الأطفال السود بصورة واضحة وأكثر منهجية، وإلقاء الأعضاء بأنفسهم وراء دستور لويزيانا الجمهوري الريدكالي، بحيث لم يؤكد أحقية السود في التصويت فحسب، بل سمح لهم بإنشاء أول مدرسة متكاملة في الولاية.

أخذت الكاتبة فاطمة شيخ وقتاً لوصف تطور القاعة الاقتصادية بشكل أوضح في تلك السنوات. بعد فترة وجيزة من رؤية دعم الأعضاء الاقتصاديين القوي للتغييرات السياسية، يمكن أن نشاهد فشل جهودهم أثناء إعادة الأعمار. مات على الأقل اثنان من أعضاء القاعة إثر مذبحة كوفلكس سيئة السمعة عام ١٨٧٣، حيث تعرض نأخبون سود للضرب على أيدي حشود متنقلة؛ فقد انتخب ديمقراطي عنصري مشرفاً على التعليم في لويزيانا، وهو ما وضع حداً للمدارس المتكاملة. فشل بنك فريدمان - واحد من أكثر المؤسسات الاقتصادية المدعومة - مما أدى إلى سحب القوات الفيدرالية من نيوارلينز بعد الانتخابات الفاشلة عام ١٨٧٦.

يمكن تلخيص نجاة قاعة الاقتصاد من خلال تقليص

يرتدون معاطف، ووصل المئات من قدامى المحاربين بالنزي الرسمي. كان أطفال المدارس الملونة يسافرون في مجموعات، وكذلك فعلت العديد من المجتمعات التي تحمل لافتات وأعلاماً أمريكية وترافقها فرق ميدانية.

تريد فاطمة شيخ من الضراء أن يروا النشاط الكبير والتقدم في وقت مبكر استمر في ولاية لويزيانا. وتضيف قائلة: «ما اكتشفته بعد أن بدأت في متابعة لودجر بوغيل، هو أن عائلته جاءت من هايتي - إحدى بلدان البحر الكاريبي - وأن والده ربما قاتل في ثورة هايتي. أود أن يرى الناس هذا التقدم في الفكر لدى لودجر».

أطلق أعضاء قاعة الاقتصاد على أنفسهم الاقتصاديين، بحيث تضم العديد من مالكي العقار المتعلمين مثل المقاولين والوسطاء الدوليين، وأصحاب متاجر الملابس، وصانعي الأحذية والموظفين. الذين اجتمعوا وشكلوا نادياً اجتماعياً مترابطاً، وبنوا مجتمع المساعدات الذي غطى النفقات غير المتوقعة مثل الفواتير الطبية للأعضاء وتكاليف الدفن للمواطنين.

أغلب الاقتصاديين في قاعة الاقتصاد كانوا من الجيل الأول، بما في ذلك والد بوغيل، هؤلاء أنفسهم أصحاب العبيد كانوا أيضاً مجازفين حيث تعتبر هذه الجمعيات غير قانونية بتاتا، لأن البيض عاشوا في خوف دائم من انتفاضات العبيد.

قاعة الاقتصاد كانت عبارة عن منظمة سرية في سنواتها الأولى، ولكن الاقتصاديين الأعضاء كانوا يأملون بأن أعمالهم الخيرية، وأخلاقهم الحميدة سوف تقنع المجتمع الأبيض. الممارسات التي قاموا بها يمكن تسميتها اليوم «سياسة المسؤولية» بدون مخاوف واضحة، مفترضين أن أخلاقهم البرجوازية سوف تساعدهم على تحريك المساواة، والحقوق المدنية مع مجتمع البيض.

أجرت الكاتبة فاطمة شيخ طائفة من البحوث الرائعة حول حياة العديد من الأعضاء الاقتصاديين، خاصة حياتهم قبل الحرب. نتعرف على دعاوى قضائية متعددة، وولادات غير شرعية خارج إطار الزواج ومن خلالها جاءت مطالبة الاقتصاديين بالقيادة الأخلاقية. نحصل أيضاً على صورة عميقة لكيفية انتشار العبودية في كل مكان، حيث كانت عمليات الرقيق (بيع العبيد) تتم على الأرصفة وتمسك أقلاماً تلوث الشوارع السكنية. على حد قول الكاتبة فاطمة شيخ فإن الاقتصاديين لم يكونوا متطرفين وإنما كانوا خيرين وذوي عقلية مدنية. كان بوغيل وزوجته معلمين ملتزمين بتعليم السود.

يبين الكتاب ماذا حدث للاقتصاديين بعد انفصال لويزيانا عن الاتحاد واندلاع الحرب، بحيث انضم عدد من الاقتصاديين إلى وحدة الفصل العنصري التابعة للجيش الكونفدرالي، وقيادة الحرس الذي يعد نوعاً من المليشيات للأشخاص الملونين. وتوضح فاطمة شيخ هنا بأنه لم يكن